الامتحان العجيب!

جاء في كتاب المستطرف[1] ما نصُّه :

روي عن الهيثم بن عدي أنه قال : تمارى ثلاثة نفر في الأجواد ، فقال رجل : أسخى الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر ، فقال الآخر : أسخى الناس قيس بن سعيد بن عبادة ، فقال الآخر : أسخى الناس اليوم عرابة الأوسي ، فتنازعوا بفناء الكعبة ، فقال لهم رجل : لقد أفرطتم في الكلام ، فليمض كل واحد منكم إلى صاحبه فيسأله حتى ننظر بما يعود ، فنحكم على العيان ، فقام صاحب عبد الله بن جعفر فوافاه وقد وضع رجله في ركاب راحلته يريد ضيعة له ، فقال الرجل : يا بن عم رسول الله ﷺ ابن سبيل ومنقطع به ، فأخرج رجله وقال : ضع رجلك واستو على الناقة وخذ ما في الحقيبة ، وكان فيها مطارف خزٍّ وأربعة آلاف دينار .

ومضى صاحب قيس ، فوجده نائماً ، فقالت له جارية قيس : ما حاجتك ؟

فقال : ابن سبيل ومنقطع به ، فقالت الجارية : حاجتك أهون من إيقاظه ، هذا كيس فيه سبعمئة دينار ، ما في دار قيس غيرها ، وامض إلى معاطل (زرائب) الإبل فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها ، وعبداً ، وامض لشأنك ، ولما انتبه قيس أخبرته الجارية بما صنعت ، فأعتقها . . .

وأما صاحب عرابة فانطلق إليه ، فوجده وقد خرج إلى الصلاة ، فقال : يا عرابة ، ابن سبيل ومنقطع به ، وكان معه عبدان ، فصفَّق بيده اليمنى على اليسرى وقال : أواه أواه ، والله ما أصبح ولا أمسى الليلة عند

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي ص ١٨٠ .

عرابة شيء ، ولا تركت له الحقوق مالاً ، ولكن خذ هذين العبدين ، فقال الرجل : والله ما كنت بالذي يسلبك عبديك ، فقال : إن أخذتهما وإلا فهما حُرّان لوجه الله تعالى ، فإن شئت فاعتق ، فأخذ الرجل العبدين ومضى .

ثم اجتمعوا وذكروا قصة كل واحد ، فحكموا لعرابة بالجود والسخاء والكرم أكثر من الآخرين ، وذلك لأنه أعطى على جهد .

* * *

ربح البيع!

للبيع أنواع كثيرة ، ولكن أسماها هو بيع النفس في سبيل الله تعالى .

من هنا نجد الأئمة الأعلام ، والعلماء المخلصين يرددون عبارة البيع هذه ويدفعون الثمن لذلك ، وهذا ما كان يردده العالم (عبد الله بن المبارك) رحمه الله تعالى كلما خرج إلى ردِّ العدو فيقول :

بغضُ الحياة وخوفُ الله أخرجني وبيعُ نفسي بما ليستْ لهُ ثمنا
إنِّي وزنتُ الذي يبقى ليعدله ما ليسَ يبقى فلا والله ما اتَّزنا[1]

إن هذه البيع ضرب من ضروب الجهاد . ودرجة عالية في الجنة . وسبيل عزّة المسلمين وانتصارهم على أعدائهم .

لقد طلّقوا الدنيا ثلاثاً لا رجعة بعدها . . . لقد باعوا أنفسهم في سبيل الله .

فهان كلُّ شيء أمام ذلك . . فخاف أعداؤهم منهم . . .

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/١٦٦ .